

سورة الروم

مكية، إلا آية ١٧ فمدنية

وآياتها ٦٠ [نزلت بعد الانشقاق]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿الذِّكْرُ﴾ ١ غُلِبَتِ الرُّومُ ﴿٢﴾ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ﴿٣﴾ فِي بِضْعِ
سِنِينَ ۗ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْسَحُ الْمُؤْمِنُونَ ﴿٤﴾ يَنْصُرُ اللَّهُ يَنْصُرُ
مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٥﴾

القراءة المشهورة الكثيرة ﴿غُلِبَتِ﴾ بضم الغين. وسيعلبون بفتح الياء. والأرض: أرض العرب، لأن الأرض المعهوده عند العرب أرضهم. والمعنى: غلبوا في أدنى أرض العرب منهم وهي أطراف الشام. أو أراد أرضهم، على إنابة اللام مناب المضاف إليه، أي: في أدنى أرضهم إلى عدوهم، قال مجاهد: هي أرض الجزيرة، وهي أدنى أرض الروم إلى فارس. وعن ابن عباس - رضي الله عنهما -: الأردن وفلسطين. وقرئ: في أدنى الأرض. والبضع ما بين الثلاث إلى العشر عن الأصمعي. وقيل: احتربت الروم وفارس بين أذرعات وبصرى، فغلبت فارس الروم، فبلغ الخبر مكة فشوق على النبي ﷺ والمسلمين (١١٣١)؛ لأن فارس مجوس لا كتاب لهم والروم أهل الكتاب، وفرح

١١٣١ - قال الزيلعي في «تخريج الكشاف» (٥٤/٣).

قلت: غريب، وأقرب ما وجدته، وإن طرقة تغيير يسير، ما رواه سنيد بن داود في تفسيره: حدثني حجاج، عن أبي بكر بن عبد الله، عن عكرمة قال: كانت امرأة في فارس لا تلد إلا الأبطال، فدعاها كسرى فقال: إني أريد أن أبعث إلى الروم جيشاً واستعمل عليهم رجلاً من بنيك، فأشيرني عليّ أيهم أستعمل؟ فأشارت عليه بولد لها يدعى: شهربراز، فاستعمله، قال أبو بكر بن عبد الله: فحدثت هذا الحديث عطاء الخراساني، فقال عطاء الخراساني: فحدثني يحيى بن يعمر أن قيصر بعث رجلاً يدعى: قطمة بجيش من الروم، وبعث كسرى بشهربراز، فالتقيا بأذرعات وبصرى، فغلبتهم فارس، ففرحت بذلك كفار قريش، وكرهه المسلمون، قال عكرمة: ولقي المشركون أصحاب النبي - ﷺ - فقالوا: إنكم أهل كتاب والنصارى أهل كتاب، ونحن أميون، وقد ظهر إخواننا من أهل فارس على إخوانكم من أهل الكتاب، وإنكم إن قاتلتمونا؛ لنظهرن عليكم، فوالله لنظهرن الروم على فارس، أخبرنا بذلك نبينا صلوات الله عليه، فقام أبي بن خلف فقال: كذبت =

المشركون وشتموا وقالوا: أنتم والنصارى أهل الكتاب، ونحن وفارس أميون، وقد ظهر إخواننا على إخوانكم، ولنظهرن نحن عليكم. فنزلت. فقال لهم أبو بكر - رضي الله عنه -: لا يقرّر الله أعينكم، فوالله لتظهرن الروم على فارس بعد بضع سنين فقال له أبي بن خلف. كذبت يا أبا فضيل، اجعل بيننا أجلاً أناحبك عليه، والمناحية: المراهنة فناحبه على عشر قلائص من كل واحد منهما، وجعلنا الأجل ثلاث سنين، فأخبر أبو بكر - رضي الله عنه - رسول الله - ﷺ - فقال: البضع ما بين الثلاث إلى التسع، فزايدة في الخطر ومادة في الأجل. فجعلناها مائة قلووس إلى تسع سنين. ومات أبي من جرح رسول الله، وظهرت الروم على فارس يوم الحديبية، وذلك عند رأس سبع سنين. وقيل: كان النصر يوم بدر للفريقين، فأخذ أبو بكر الخطر من ذرية أبي، وجاء به إلى رسول الله - ﷺ - فقال: تصدّق به، وهذه الآية من الآيات البينة الشاهدة على صحة النبوة، وأن القرآن من عند الله لأنها إنباء عن علم الغيب الذي لا يعلمه إلا الله. وقرئ: غلبهم، بسكون اللام. والغلب والغلب. مصدران كالجلب والجلب. والحلب والحلب. وقرئ: غلبت الروم، بالفتح. وسيغلبون، بالضم. ومعناه أن الروم غلبوا على ريف الشام وسيغلبهم المسلمون في بضع سنين. وعند انقضاء هذه المدة أخذ المسلمون في جهاد الروم، وإضافة غلبهم تختلف باختلاف القراءتين، فهي في أحدهما إضافة المصدر إلى المفعول. وفي الثانية إضافته إلى الفاعل. ومثالهما ﴿مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِمْرَأَتُهُمْ﴾، ﴿فَلَنْ يُخْلَفَ

= با أبا فضيل، فقال له أبو بكر: أنت أكذب يا عدو الله، فقال: أناحبك عشر قلائص مني وعشر قلائص منك، فإن ظهرت الروم على فارس؛ غرمت إلى ثلاث سنين، ثم جاء أبو بكر إلى النبي - ﷺ - فأخبره، فقال: «ما هكذا ذكرت، إنما البضع ما بين الثلاث إلى التسع، فزايدة في الخطر، ومادة في الأجل» فخرج أبو بكر فلقى أبيًا؛ فقال: لعلك ندمت، قال: لا، تعال أزايدك في الخطر، وأمادك في الأجل فاجعلها مائة قلووس لمائة قلووس إلى تسع سنين، قال: قد فعلت، وظهرت الروم على فارس قبل ذلك، فغلبهم المسلمون. وهذا مرسل.

وذكر الترمذي منه قطعة، وقال فيه: وكان ذلك قبل تحریم الزهانة.

وروى الحاكم في مستدركه أيضاً منه قطعة يسيرة.

وكذلك الطبري وابن مردويه وابن أبي حاتم وهذا أقرب ما وجدناه.

قال الحافظ في تخريج الكشاف: أخرجه سنيد بن أبي داود في تفسيره: حدثني حجاج هو ابن محمد الأعور عن أبي بكر بن عبد الله عن عكرمة قال: «كانت في فارس امرأة لا تلد إلا الأبطال فدعاها كسرى فقال: إني أريد أن أبعث إلى الروم جيشاً وأستعمل عليهم رجلاً من بنيك فأشير عليّ؛ أيهم استعمل؟ فأشارت عليه بولد لها يدعى شهربراز. فاستعمله. قال أبو بكر بن عبد الله: فحدثت هذا الحديث عطاء الخراساني، فقال: حدثني يحيى بن يعمر أن قيصراً بعث رجلاً يدعى قطعة بجيش من الروم، فالتقى بأذرعاء وبصرى فغلبتهم فارس، فذكر القصة قلت: ولها طرق جمعتها في أول شرحي الكبير على البخاري. وقصة أبي بكر في المراهنة رواها الترمذي وغيره من حديث نيار بن مكرم الأسلمي، وسياقها مخالف لسياق هذه القصة. انتهى.

اللَّهُ عَهْدُهُ ﴿١﴾. فإن قلت: كيف صحت المناجحة وإنما هي قمار؟ قلت: عن قتادة رحمه الله أنه كان ذلك قبل تحريم القمار. ومن مذهب أبي حنيفة ومحمد: أن العقود الفاسدة من عقود الربا وغيرها جائزة في دار الحرب بين المسلمين والكفار. وقد احتجنا على صحة ذلك بما عقده أبو بكر بينه وبين أبي بن خلف ﴿مِنْ قَتْلٍ وَإِنْ بَعْدُ﴾ أي في أول الوقتين وفي آخرهما حين غلبوا وحين يغلبون، كأنه قيل: من قبل كونهم غالبين، وهو وقت كونهم مغلوبين. ومن بعد كونهم مغلوبين، وهو وقت كونهم غالبين، يعني أن كونهم مغلوبين أولاً وغالبين آخراً ليس إلا بأمر الله وقضائه ﴿وَلَيْكَ الْآيَاتُ تَدَاوُلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾ [آل عمران: ١٤٠] وقرئ: من قبل ومن بعد، على الجز من غير تقدير مضاف إليه واقتطاعه، كأنه قيل: قبلاً وبعداً، بمعنى أولاً وآخرًا ﴿وَيَوْمَئِذٍ﴾ ويوم تغلب الروم على فارس ويحل ما وعده الله عز وجل من غلبتهم ﴿يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ بِنَصْرِ اللَّهِ﴾ وتغلبه من له كتاب على من لا كتاب له. وغيظ من شمت بهم من كفار مكة. وقيل: نصر الله: هو إظهار صدق المؤمنين فيما أخبروا به المشركين من غلبة الروم وقيل نصر الله: أنه ولي بعض الظالمين بعضاً وافرقة بين كلمهم، حتى تفانوا وتناقصوا، وفل^(١) هؤلاء شوكة هؤلاء وفي ذلك قوة للإسلام. وعن أبي سعيد الخدري: وافق ذلك يوم بدر، وفي هذا اليوم نصر المؤمنين ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ ينصر عليكم تارة وينصركم أخرى.

﴿وَعَدَ اللَّهُ لَا يَخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنْ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ﴿٦﴾ يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ﴾ ﴿٧﴾

﴿وَعَدَ اللَّهُ﴾ مصدر مؤكد، كقولك: لك علي ألف درهم عرفاً؛ لأنَّ معناه: أترف لك بها اعترافاً، ووعد الله ذلك وعداً؛ لأن ما سبقه في معنى وعد. ذمهم الله عز وجل بأنهم عقلاء في أمور الدنيا، بله في أمر الدين، وذلك أنهم كانوا أصحاب تجارات ومكاسب/ ٢/ ٨٨ ب. وعن الحسن: بلغ من حذق أحدهم أنه يأخذ الدرهم فينقره بأصبعه، فيعلم أرديء هو أم جيد. وقوله: ﴿يَعْلَمُونَ﴾ بدل من قوله: ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ وفي هذا الإبدال من النكتة أنه أبدله منه، وجعله بحيث يقوم مقامه ويسد مسده، ليعلمك أنه لا فرق بين عدم العلم الذي هو الجهل، وبين وجود العلم الذي لا يتجاوز الدنيا. وقوله: ﴿ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾

(١) قوله «فل هؤلاء شوكة هؤلاء» أي كسرها. أفاده الصحاح. (ع)

ينظر: ديوانه ص ٨٥، ٨٩، والجنى الداني ص ٣٢، وشرح شواهد المغني ١/ ٤٢، ولسان العرب، ومغني اللبيب ١/ ١٧، وبلا نسبة في الخصائص ٢/ ٤٦٣، ٣/ ٢٦٩، ورصف المباني ص ٤٦، وشرح المفصل ٨/ ١٢٣ والمقتضب ٣/ ٢٩٢.

الدُّنْيَا ﴿يَفِيدُ أَنْ لِلدُّنْيَا ظَاهِراً وَبَاطِناً، فظاهاها ما يعرفه الجاهل من التمتع بزخارفها والتنعم﴾^(١) بملاذها. وباطنها وحقيقتها أنها مجاز إلى الآخرة: يتزود منها إليها بالطاعة والأعمال الصالحة. وفي تنكير الظاهر: أنهم لا يعلمون إلا ظاهراً واحداً من جملة الظواهر. و«هم» الثانية يجوز أن يكون مبتدأ. و﴿عَفَلُونَ﴾ خبره، والجملة خبر «هم» الأولى، وأن يكون تكريراً للأولى، وغافلون خبر الأولى. وأيه كانت فذكرها مناد على أنهم معدن الغفلة عن الآخرة ومقرها ومعلمها، وأنها منهم تنبع وإليهم ترجع.

﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَإِنَّ كَثِيراً مِّنَ النَّاسِ بِلِقَائِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ﴾

﴿فِي أَنْفُسِهِمْ﴾ يحتمل أن يكون ظرفاً، كأنه قيل: أولم يحدثوا التفكير في أنفسهم، أي: في قلوبهم الفارغة من الفكر، والتفكر لا يكون إلا في القلوب، ولكنه زيادة تصوير لحال المتفكرين، كقولك: اعتقده في قلبك وأضره في نفسك، وأن يكون صلة للتفكر، كقولك: تفكر في الأمر وأجال فيه فكره. و﴿مَا خَلَقَ﴾ متعلق بالقول المحذوف، معناه: أولم يتفكروا فيقولوا هذا القول. وقيل: معناه: فيعلموا، لأن في الكلام دليلاً عليه ﴿إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ أي ما خلقها باطلاً وعبثاً بغير غرض صحيح وحكمة بالغة، ولا لتبقى خالدة: وإنما خلقها مقرونة بالحق مصحوبة بالحكمة، وبتقدير أجل مسمى لا بد لها من أن تنتهي إليه، وهو قيام الساعة ووقت الحساب والثواب والعقاب. ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثاً وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٥] كيف سمى تركهم غير راجعين إليه عبثاً. والباء في قوله: ﴿إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ مثلها في قولك: دخلت عليه بشياب السفر، واشترى الفرس بسرجه ولجامه، تريد: اشتراه وهو ملتبس بالسرجه واللجام، غير منفك عنهما. وكذلك المعنى ما خلقها إلا وهي ملتبسة بالحق مقترنة به، فإن قلت: إذا جعلت (في أنفسهم) صلة للتفكر، فما معناه؟ قلت: معناه: أولم يتفكروا في أنفسهم التي هي أقرب إليهم من غيرها من المخلوقات، وهم أعلم وأخبر بأحوالها منهم بأحوال ما عداها، فتدبروا ما أودعها الله ظاهراً وباطناً من غرائب الحكم الدالة على التدبير دون

(١) قال محمود: «يعلمون بدل من الأول، وفي البدل نكتة وهي الإشعار بأنه لا فرق بين عدم العلم لذي هو الجهل وبين العلم بظاهر الدنيا، حتى كأنهما شيء واحد، فأبدل أحدهما من الآخر. وفائدة تنكير الظاهر أنهم لا يعلمون إلا ظاهراً واحداً من جملة ظواهرها» قال أحمد: وفي التنكير تقليل لمعلومهم وتقليله يقربه من النفي حتى يطابق المبدل منه. وروي عن الحسن أنه قال في تلاوته هذه الآية: بلغ من صدق أحدهم في ظاهر الحياة الدنيا أنه ينقر الدينار بأصبعه فيعلم أجيد هو أم رديء.

الإهمال وأنه لا بد لها من انتهاء إلى وقت يجازيها فيه الحكم الذي دبر أمرها على الإحسان إحساناً وعلى الإساءة مثلها، حتى يعلموا عند ذلك أن سائر الخلائق كذلك أمرها جار على الحكمة والتدبير وأنه لا بد لها من الانتهاء إلى ذلك الوقت، والمراد ببقاء ربهم: الأجل المسمى.

﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا اللَّهُ يُظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١٠﴾﴾

﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا﴾ تقرير لسيرهم في البلاد ونظرهم إلى آثار المدمرين من عاد وثمود وغيرهم من الأمم العاتية، ثم أخذ يصف لهم أحوالهم وأنهم ﴿كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ﴾ وحرثوها قال الله تعالى: ﴿لَا ذُلٌّ لِيُخَيَّرَ الْأَرْضُ﴾ [البقرة: ٧١] وقيل لبقر الحرث: المثيرة. وقالوا: سمي ثوراً لإثارته الأرض وبقرة؛ لأنها تبقرها أي تشقها ﴿وَعَمَرُوهَا﴾ يعني أولئك المدمرون ﴿أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا﴾ من عمارة أهل مكة. وأهل مكة: أهل واد غير ذي زرع، ما لهم إثارة الأرض أصلاً، ولا عمارة لها رأساً فما هو إلا تهكم بهم، وبضعف حالهم في دنياهم؛ لأن معظم ما يستظهر به أهل الدنيا ويتباهون به أمر الدهقنة^(١)، وهم أيضاً ضعاف القوى، فقلوه: ﴿كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾ أي عاد وثمود وأضرابهم من هذا القبيل. كقلوه: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾ [فصلت: ١٥] وإن كان هذا أبلغ، لأنه خالق القوى والقدر. فما كان تدميره إياهم ظلماً لهم؛ لأن حاله منافية للظلم، ولكنهم ظلموا أنفسهم حيث عملوا ما أوجب تدميرهم.

﴿ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ اسْتَوْتُوا السُّوءَ أَنْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١١﴾﴾

قرئ عاقبة بالنصب والرفع. و﴿السُّوءَ﴾ تأنيث الأسوأ وهو الأقبح، كما أن الحسنى تأنيث الأحسن. والمعنى: أنهم عوقبوا في الدنيا بالدمار، ثم كانت عاقبتهم سوءاً؛ إلا أنه وضع المظهر موضع المضمّر، أي: العقوبة التي هي أسوأ العقوبات في الآخرة، وهي جهنم التي أعدت للكافرين. و﴿أَنْ كَذَّبُوا﴾ بمعنى لأن كذبوا. ويجوز أن يكون أن بمعنى: أي؛ لأنه إذا كان تفسير الإساءة التكذيب والاستهزاء كانت في معنى القول، نحو: نادى. وكتب، وما أشبه ذلك. ووجه آخر: وهو أن يكون ﴿اسْتَوْتُوا السُّوءَ﴾ بمعنى اقترفوا الخطيئة التي هي أسوأ الخطايا، و﴿أَنْ كَذَّبُوا﴾ عطف ببيان لها، وخبر كان محذوف كما

(١) قوله «أمر الدهقنة» أي الزراعة. (ع)

يحذف جواب لما ولو، إرادة الإيهام.

﴿اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (١١)

﴿ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ أي إلى ١٨٩/٢ ثوابه وعقابه. وقرئ بالتاء والياء.

﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ﴾ (١٢) وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ مِنْ شُرَكَائِهِمْ شُفَعَاؤُا وَكَانُوا

بِشُرَكَائِهِمْ كَافِرِينَ ﴿١٣﴾

الإبلاس: أي يبقى بائساً ساكناً متحيراً. يقال: ناظرته فأبلس. إذا لم ينبس^(١) وبئس من أن يحتج. ومنه الناقاة المبلّاس: التي لا ترغو. وقرئ: يبلس، بفتح اللام، من أبلسه إذا أسكته ﴿مِنْ شُرَكَائِهِمْ﴾ من الذين عبدوهم من دون الله ﴿وَكَانُوا بِشُرَكَائِهِمْ كَافِرِينَ﴾ أي يكفرون بالهيتهم ويجحدونها. أو كانوا في الدنيا كافرين بسببهم. وكتب ﴿شُفَعَاؤُا﴾ في المصحف بواو قبل الألف، كما كتب ﴿علموا بني إسرائيل﴾ وكذلك كتبت (السوأي) بألف قبل الياء إثباتاً للهمزة على صورة الحرف الذي منه حركتها.

﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُنْفَرُونَ﴾ (١٤) فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي

رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ﴿١٥﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ فَأُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ

مُخْضَرُونَ ﴿١٦﴾

الضمير في ﴿يُنْفَرُونَ﴾ للمسلمين والكافرين، لدلالة ما بعده عليه. وعن الحسن رضي الله عنه -: هو تفرق المسلمين والكافرين: هؤلاء في عليين، وهؤلاء في أسفل السافلين - وعن قتادة - رضي الله عنه -: فرقة لا اجتماع بعدها ﴿فِي رَوْضَةٍ﴾ في بستان، وهي الجنة. والتنكير لإيهام أمرها وتفخيمه. والروضة عند العرب: كل أرض ذات نبات وماء. وفي أمثالهم: أحسن من بيضة في روضة، يريدون: بيضة النعامة ﴿يُحْبَرُونَ﴾ يسرون. يقال: حبره إذا سره سروراً تهلل له وجهه وظهر فيه أثره. ثم اختلفت فيه الأقاويل لاحتماله وجوه جميع المسار؛ فعن مجاهد - رضي الله عنه -: يكرمون. وعن قتادة: ينعمون. وعن ابن كيسان: يحلون. وعن أبي بكر بن عياش: التيجان على رؤوسهم. وعن وكيع: السماع في الجنة. وعن النبي ﷺ: أنه ذكر الجنة وما فيها من النعيم^(٢)، وفي آخر القوم أعرابي فقال: يا رسول الله، هل في الجنة من سماع؟ قال: «نعم يا أعرابي، إن في الجنة نهراً حافاه الأبقار من كل بيضاء خوصانية، يتغنين بأصوات

(١) قوله «إذا لم ينبس» أي لم يتكلم. أفاده الصحاح. (ع)

لم تسمع الخلائق بمثلها قط، فذلك أفضل نعيم الجنة» قال الراوي: فسألت أبا الدرداء، بم يتغنين؟ قال: بالتسبيح (١١٣٢). وروي: «إن في الجنة لأشجاراً عليها أجراس من فضة، فإذا أراد أهل الجنة السماع بعث الله ريحاً من تحت العرش فتقع في تلك الأشجار، فتحرك تلك الأجراس بأصوات لو سمعها أهل الدنيا لماتوا طرباً» (١١٣٣). ﴿مُحَضَّرُونَ﴾ لا يغيبون عنه ولا يخفف عنهم، كقوله: ﴿وَمَا هُمْ بِمُخْرِجِيكِ وَنَهَا﴾ [المائدة: ٣٧]، ﴿لَا يُفَرِّقَنَّ عَنْهُ﴾ [الزخرف: ٧٥].

﴿فَسُبِّحَنَّ اللَّهُ حِينَ تُسْمَوْنَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ﴾ (٧) ﴿وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ﴾ (٨) ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَلِكَ تُخْرَجُونَ﴾ (٩)

لما ذكر الوعد والوعيد، أتبعه ذكر ما يوصل إلى الوعد وينجي من الوعيد. والمراد

١١٣٢ - أخرجه ابن عدي في «الكامل» (٧٨/٤) من طريق سليمان بن عطاء عن مسلمة بن عبد الله الجهني عن عمه أبي مشجعة بن ربعي عن أبي الدرداء به مرفوعاً. ولين ابن عدي سليمان بن عطاء ونقل عن البخاري قوله: في حديثه بعض المناكير. وقال ابن عدي: وهو كما قال.

وقال الحافظ ابن حجر في «تخريج الكشاف»: وسليمان منكر الحديث. والحديث أيضاً أخرجه الثعلبي كما في «تخريج الكشاف» للزيلعي (٥٥/٣). قال الحافظ في تخريج الكشاف: في طريق سليمان بن عطاء عن مسلمة بن عبد الله الجهني عن عمه أبي مشجعة عن أبي الدرداء قال: «كان رسول الله - ﷺ - يذكر الناس، فذكر الجنة وما فيها... الحديث»، وسليمان منكر الحديث. انتهى.

١١٣٣ - قال الزيلعي في «تخريج الكشاف» (٥٦/٢): غريب ورواه الثعلبي من حديث عبد الله بن عرادة الشيباني عن القاسم بن مطيب عن مغيرة عن إبراهيم قال: إن في الجنة لأشجاراً... إلى آخره. قال الحافظ ابن حجر في «تخريج الكشاف»: عبد الله بن عرادة الشيباني أحد الضعفاء. وأخرجه إسحاق بن راهويه في مسنده كما في «تخريج الكشاف» (٥٦/٢) أخبرنا عتاب بن بشير عن عبد الله بن مسلم بن هرمز الهرمزي عن مجاهد قال: قيل لأبي هريرة: هل في الجنة من سماع؟ قال: نعم شجرة أصلها من ذهب وأغصانها الفضة وثمرها الباقوت والزبرجد يبعث لها ريح فيحرك بعضها بعضاً فما سمع شيء قط أحسن منه.

وللحديث طريق آخر عن أبي هريرة بنحو الأول أخرجه أبو نعيم في صفة الجنة (٤٣٣). قال الحافظ في تخريج الكشاف: أخرجه الثعلبي من رواية عبد الله بن عرادة الشيباني أحد الضعفاء عن القاسم بن مطيب عن مغيرة عن إبراهيم بهذا. وروى إسحاق في مسنده من رواية مجاهد قيل لأبي هريرة: «هل في الجنة من سماع؟ قال: نعم شجرة أصلها من ذهب وأغصانها من الفضة وثمرها الباقوت والزبرجد، يبعث لها ريح فيحرك بعضها بعضاً. فما سمع شيء قط أحسن منه». انتهى.

بالتسبيح ظاهره الذي هو تنزيه الله من السوء والثناء عليه بالخير في هذه الأوقات لما يتجدد فيها من نعمة الله الظاهرة. وقيل: الصلاة. وقيل لابن عباس - رضي الله عنهما -: هل تجد الصلوات الخمس في القرآن؟ قال: نعم، وتلا هذه الآية ﴿تُسَبِّحُهَا الصُّبُحُ وَالْعِشَاءُ﴾ ﴿تُسَبِّحُونَ﴾ صلاة الفجر ﴿وَعِيتًا﴾ صلاة العصر. ﴿تُظْهِرُونَ﴾ صلاة الظهر. وقوله ﴿وَعِيتًا﴾: متصل بقوله: ﴿حِينَ تُسَبِّحُونَ﴾ وقوله: ﴿وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ اعتراض بينهما. ومعناه: إنَّ على المميزين كلهم من أهل السموات والأرض أن يحمده. فإن قلت: لم ذهب الحسن رحمه الله إلى أنَّ هذه الآية مدنية؟ قلت: لأنه كان يقول: فرضت الصلوات الخمس بالمدينة وكان الواجب بمكة ركعتين في غير وقت معلوم. والقول الأكثر أن الخمس فرضت بمكة. وعن عائشة رضي الله عنها: فرضت الصلاة ركعتين فلما قدم رسول الله - ﷺ - المدينة أقرت صلاة السفر، وزيد في صلاة الحضر (١١٣٤). وعن رسول الله - ﷺ -: «من سره أن يكال له بالقفيز الأوفى فليقل: ﴿قُتِبَ حَسَنٌ اللَّهُ حِينَ تُسَبِّحُونَ﴾ وَحِينَ تُصَبِّحُونَ ﴿٧﴾... الآية» (١١٣٥). وعنه عليه السلام: «من قال حين يصبح ﴿قُتِبَ حَسَنٌ اللَّهُ حِينَ تُسَبِّحُونَ﴾ وَحِينَ تُصَبِّحُونَ ﴿٧﴾ - إلى قوله - ﴿وَكَذَلِكَ تُخْرَجُونَ﴾ أدرك ما فاتته في يومه. ومن قالها حين يمسي أدرك ما فاتته في ليلته» (١١٣٦). وفي قراءة عكرمة: حيناً تمسون وحيناً تصبحون. والمعنى: تمسون فيه وتصبحون فيه. كقوله: ﴿يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا﴾ [البقرة: ٤٨] بمعنى فيه ﴿أَلَمْ يَكُنْ مِنَ الْآمِنِينَ﴾ الطائر من البيضة، و﴿أَلَمْ يَكُنْ مِنَ الْآمِنِينَ﴾

١١٣٤ - تقدم تخريجه، قال الحافظ في تخريج الكشاف: متفق عليه من حديث عائشة واللفظ لأحمد وسياقه أتم. انتهى.

١١٣٥ - قال الزيلعي في «تخريج الكشاف» (٥٧/٢): رواه الثعلبي في «تفسيره» من حديث الحجاج بن يوسف بن قتيبة بن مسلم ثنا بشر بن الحسين ثنا الزبيري عن عدي عن أنس بن مالك به. وقال الحافظ ابن حجر في «تخريج الكشاف» وفي إسناده بشر بن الحسين وهو ساقط. قال الحافظ في تخريج الكشاف: أخرجه الثعلبي من حديث أنس وفي إسناده بشر بن الحسين وهو ساقط.

١١٣٦ - أخرجه أبو داود (٣١٩/٤) كتاب الأدب باب ما يقول إذا أصبح حديث (٥٠٧٦) وابن السني في «عمل اليوم والليلة» (٥٤) والطبراني في «الكبير» (٢٣٩/١٢) رقم (١٢٩٩١) من طريق سعيد بن بشير عن محمد بن عبد الرحمن البيهقي عن أبيه عن ابن عباس مرفوعاً. قال الزيلعي في «تخريج الكشاف» (٥٧/٢): ورواه العقيلي وابن عدي في كتابيهما وأعله بسعيد بن بشير ونقلوا عن البخاري أنه قال: لا يصح حديثه وقال العقيلي: وهو مجهول. وقال ابن عدي: ولا أعلم لسعيد بن بشير النجرائي غير هذا الحديث وإليه أشار البخاري بقوله لا يصح حديثه.

والحديث ذكره الحافظ ابن كثير في «تفسيره» (٤٢٨/٣) وقال: إسناده ضعيف. قال الحافظ في «تخريج الكشاف»: أخرجه أبو داود والعقيلي وابن عدي من حديث ابن عباس وإسناده ضعيف وقال البخاري لا يصح.

البيضة من الطائر. وإحياء الأرض: إخراج النبات منها ﴿وَكَذَلِكَ تَخْرُجُونَ﴾ ومثل ذلك الإخراج تخرجون من القبور وتبعثون. والمعنى: أَنَّ الإبداء والإعادة متساويان في قدرة من هو قادر على الطرد والعكس من إخراج الميت من الحي وإخراج الحي من الميت وإحياء الميت وإماتة الحي. وقرئ: الميت، بالتشديد^(١). وتخرجون، بفتح التاء.

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ﴾ (٢٠) ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (٢١)

﴿خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ﴾ لأنه خلق أصلهم منه. و﴿إِذَا﴾ للمفاجأة. وتقديره: ثم فاجأكم وقت كونكم بشراً منتشرين في الأرض، كقوله: ﴿وَبَيْنَ مِنْهَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً﴾ [النساء: ١] ﴿وَمِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا﴾ لأن حواء خلقت من ضلع آدم عليه السلام. والنساء بعدها خلقن من أصلاب الرجال. أو من شكل أنفسكم وجنسها، لا من جنس آخر، وذلك لما بين الاثنين من جنس/٢/٨٩ ب واحد من الألف والسكون، وما بين الجنسين المختلفين من التنافر ﴿وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ﴾ التواء والتراحم بعصمة الزواج، بعد أن لم تكن بينكم سابقة معرفة، ولالقاء، ولا سبب يوجب التعاطف من قرابة أو رحم. وعن الحسن - رضي الله عنه -: المودة كناية عن الجماع، والرحمة عن الولد، كما قال: ﴿وَرَحْمَةً مِثْلًا﴾ [ص: ٤٣] وقال: ﴿ذَكَرَ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدُكَ﴾ [مريم: ٢]. ويقال: سكن إليه إذا مال إليه، كقولهم: انقطع إليه، واطمأن إليه - ومنه السكن. وهو الإلف المسكون إليه. فعل بمعنى مفعول. وقيل: إن المودة والرحمة من قبل الله وإن الفرق من قبل الشيطان^(٢).

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَخَلْقَ السِّنِّاتِ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْعَالَمِينَ﴾ (٢٢)

الألجنة: اللغات. أو أجناس النطق وأشكاله. خالف عزّ وعلا بين هذه الأشياء حتى لا تكاد تسمع منطقتين متفقيين في همس واحد، ولا جهازة، ولا حدة، ولا رخاوة، ولا فصاحة، ولا لكنة، ولا نظم، ولا أسلوب، ولا غير ذلك من صفات النطق وأحواله، وكذلك الصور وتخطيطها، والألوان وتنويعها، واختلاف ذلك وقع التعارف، وإلا فلما اتفقت وتماثلت وكانت ضرباً واحداً لوقع التجاهل والالتباس، ولتعطلت مصالح كثيرة، وربما رأيت توأمين يشتبهان في الحلية، فيعروك الخطأ في التمييز بينهما، وتعرف

(١) قوله «وقرئ الميت بالتشديد» يفيد أن القراءة المشهورة بالتخفيف. (ع)

(٢) قوله «وإن الفرق من قبل الشيطان» في الصحاح «الفرق» بالكسر: البغض. (ع)

حكمة الله في المخالفة بين الحلي وفي ذلك آية بينة حيث ولدوا من أب واحد، وفرعوا من أصل فذ، وهم على الكثرة التي لا يعلمها إلا الله مختلفون متفاوتون. وقرئ: للعالمين بفتح اللام وكسرهما، ويشهد للكسر قوله تعالى: ﴿وَمَا يَفْقَهُهَا إِلَّا الْكَافِرُونَ﴾ [المنكبات: ٤٣].

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾ (٢٣)

هذا من باب اللف وترتيبه: ومن آياته منامكم وابتغاءكم من فضله بالليل والنهار، إلا أنه فصل بين القرنيين الأولين بالقرنيين الآخرين؛ لأنهما زمانان. والزمان والواقع فيه كشيء واحد، مع إعانة اللف على الاتحاد. ويجوز أن يراد: منامكم في الزمانين، وابتغاءكم فيهما، والظاهر هو الأول لتكرره في القرآن، وأسد المعاني ما دل عليه القرآن يسمعون بالآذان الواعية.

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمْ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُخْرِجُ بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْنِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ (٢٤)

في ﴿يُرِيكُمْ﴾ وجهان: إضماران، وإنزال الفعل منزلة المصدر، وبهما فسر المثل: تسمع بالمعيدي خير من أن تراه، وقول القائل [من الوافر]:
وَقَالُوا: مَا تَشَاءُ؟ فَقُلْتُ: أَلَهُوْ إِلَى الْإِصْبَاحِ أَثَرُ ذِي أَثِيرٍ^(١)

(١)	أرقت وصحبتني بمضيق عمق	لبرق من تهامة مستطير
	سقوني الخمر ثم تكنفوني	عداء الله من كذب وزور
	وقالوا: ما تشاء؟ فقلت: ألهو	إلى الإصباح أثر ذي أثير

لعروة بن الورد العبسي، وأرقت: سهرت. والواو للمعية. والمضيق المكان الضيق. وعمق - بكسر فسكون -: شجر ببلاد الحجاز، وبضم ففتح: موضع منخفض عند مكة، ولعله سكن هنا للوزن، ولبرق: متعلق بأرقت، أي سهرت في هذا الموضع لأجل برق من تهامة جهة محبوبتي، ويحتمل أن الواو حالية، وصحبتني مبتدأ خبره بمضيق عمق، وإذا كان أصحابه فيه فهو فيه، فرجع إلى الأول - ومستطير: منتشر. وروي: سقوني النسيء. ونسأت اللبن: خلطته بماء، فالنسيء: هو اللبن المخلوط بماء. وتكنفوني: أحاطوا بي، وعداء: جمع عاد بمعنى عدو. وقيل: جمع عدو، أي: هم أعداء الله من أجل كذبهم وزورهم، وهي جملة اعتراضية، ويحتمل أن «عداء» بدل من ضمير الفاعل. أو فاعل على لغة من قال: أكلوني البراغيث، أي: أحاطوا بي وقالوا: ما الذي تريده، فقلت: ألهو، أي: هو أن ألهو، فإن: مقدرة معنى، وإن لم ينصب الفعل لفظاً. وقال الجوهري: يقال أفعال هذا أثر ذي أثير، أي: أول كل شيء، فأشار إلى أن أثر: نصب على الظرفية المجازية أو الحالية، أي أفعاله حال كونه أول كل شيء يؤثر، فهو أفعال تفضيل بمعنى المفعول، ونص ابن =

﴿خَوْفًا﴾ من الصاعقة أو من الإخلاف ﴿وَطَمَعًا﴾ في الغيث. وقيل: خوفاً للمسافر، وطمعاً للحاضر، وهما منصوبان على المفعول له. فإن قلت: من حق المفعول له أن يكون فعلاً لفاعل الفعل المعلن؛ والخوف والطمع ليسا كذلك. قلت: فيه وجهان، أحدهما: أن المفعولين فاعلون في المعنى، لأنهم راءون، فكأنه قيل: يجعلكم رائيين البرق خوفاً وطمعاً. والثاني: أن يكون على تقدير حذف المضاف، أي: إرادة خوف وإرادة طمع^(١)، فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه. ويجوز أن يكونا حالين؛ أي: خائفين وطماعين. وقرئ: ينزل بالتشديد^(٢).

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنتَرْتُمْ تَخْرُجُونَ﴾ (٢٥) وَلَمْ يَنْفِ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ لَمْ قَسِينُونَ ﴿٢٦﴾

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ﴾ قيام السموات والأرض واستمساكهما بغير عمد ﴿بِأَمْرِهِ﴾ أي بقوله: كونا قائمتين. والمراد بإقامته لهما إرادته لكونهما على صفة القيام دون الزوال. وقوله: ﴿إِذَا دَعَاكُمْ﴾ بمنزلة قوله: يريكم، في إيقاع الجملة موقع المفرد على المعنى، كأنه قال: ومن آياته قيام السموات والأرض، ثم خروج الموتى من القبور إذا دعاهم دعوة واحدة: يا أهل القبور اخرجوا. والمراد سرعة وجود ذلك من غير توقف ولا تلبث، كما يجيب الداعي المطاع مدعوه، كما قال القائل [من الطويل]:

= الحاجب على جواز ذلك ووروده قليلاً، وأثره بقصر الهمة ومدّها: إذا قدمه على غيره، وأثير: اسم مفعول بمعنى مأثور. أو حقيق بالتقدم، فالمعنى: أول كل شيء صاحب شيء مأثور، فيكون هو الأثير المقدم. أو التقدير: لهوى طول الليل هو المقدم عندي.

ينظر: ديوانه (ص ٥٧)، الدرر (٧٥/١)، لسان العرب (أثر)، بلا نسبة في تذكرة النحاة ص ٥٣٦، الخصائص (٢٣٣/٢)، شرح المفصل ٩٥/٢، المحتسب (٣٢/٢)، وجمع الهوامع (٦/١).

(١) قال محمود: «فإن قلت: أينصب خوفاً وطمعاً مفعولاً لهما وليسا فعلي فاعل الفعل المعلن، فما وجه ذلك؟ قلت: المفعولون هنا فاعلون لأنهم راؤون، فتقديره: يجعلكم رائيين البرق خوفاً وطمعاً. أو على حذف مضاف، تقديره: إرادة خوفكم وطمعكم» قال أحمد: الخوف والطمع من جملة مخلوقات الله تعالى وأثار قدرته، وحينئذ يلزم اجتماع شرائط النصب فيهما وهي كونهما مصدرين ومقارنين في الوجود، والفاعل الخالق واحد، فلا بد من التنبيه على تخريج النصب على غير هذا الوجه، فنقول: معنى قول النحاة في المفعول له لا بد وأن يكون فعل الفاعل، أي: ولا بد أن يكون الفاعل متصفاً به، مثاله إذا قلت: جئتكم إكراماً لك، فقد وصفت نفسك بالإكرام فقلت في المعنى: جئتكم مكرماً لك، والله تعالى - وإن خلق الخوف والطمع لعباده - إلا أنه مقدس عن الاتصاف بهما، فمن ثم احتج إلى تأويل النصب على المذهبين جميعاً. والله أعلم.

(٢) قوله «وقرئ: ينزل بالتشديد» يفيد أن المشهور بالتخفيف. (ع)

دَعَوْتُ كَلْبًا دَعْوَةً فَكَأَنَّمَا دَعَوْتُ بِهِ ابْنَ الطُّودِ أَوْ هُوَ أَسْرَعُ

يريد بابن الطود: الصدى. أو الحجر إذا تدهدى، وإنما عطف هذا على قيام السموات والأرض بشم، بياناً لعظم ما يكون من ذلك الأمر واقتداره على مثله، وهو أن يقول: يا أهل القبور، قوموا؛ فلا تبقى نسمة من الأولين والآخرين إلا قامت تنظر، كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ﴾ [الزمر: ٦٨]. قولك: دعوته من مكان كذا، كما يجوز أن يكون مكانك يجوز أن يكون مكان صاحبك، تقول: دعوت زيدا من أعلى الجبل فنزل عليّ؛ ودعوته من أسفل الوادي فطلع إليّ. فإن قلت: بم تعلق ﴿مِنْ الْأَرْضِ﴾ أبالفعل أم بالمصدر؟ قلت: هيهات، إذا جاء نهر الله بطل نهر معقل. فإن قلت: ما الفرق بين إذا وإذا؟ قلت: الأولى للشرط، والثانية للمفاجأة، وهي تنوب مناب الفاء في جواب الشرط. وقرئ: تخرجون، بضم التاء وفتحها ﴿فَلْيَنْتَوُوا﴾ متقادون لوجود أفعاله فيهم لا يمتنعون عليه.

﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَتْ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (١٧)

﴿وَهُوَ / ٢ / ١٩٠﴾ أَهْوَتْ عَلَيْهِ ﴿فيما يجب عندكم وينقاس على أصولكم ويقتضيه معقولكم؛ لأن من أعاد منكم صنعة شيء كانت أسهل عيه وأهون من إنشائها، وتعتذرون للصانع إذا خطيء في بعض ما ينشئه بقولكم: أول الغزو أخرق، وتسمون الماهر في صناعته معاودا، تمنون أنه عاودها كرة بعد أخرى؛ حتى مرن عليها وهانت عليه. فإن قلت: لم ذكر الضمير في قوله: ﴿وَهُوَ أَهْوَتْ عَلَيْهِ﴾ والمراد به الإعادة؟ قلت: معناه: وأن يعيده أهون عليه. فإن قلت: لم أخرت الصلة في قوله: ﴿وَهُوَ أَهْوَتْ عَلَيْهِ﴾ وقدمت في قوله: ﴿هُوَ عَلَىٰ هَيْنٍ﴾ [مريم: ٩]؟ قلت: هناك قصد الاختصاص وهو محزه، فقليل:

(١) يقول: دعوت كلباً. ويروى: خليداً. دعوة واحدة فأجاني بسرعة كأني دعوت به ابن الطود: وهو الجبل العظيم، وابنه الصدي: الذي يحاكي صوت الصائح عقب صياحه. أو الحجر إذا هوى منه متدهدا متدحرجاً إلى أسفل. وسمى ابنه. على سبيل الاستعارة التصريحية، لأنه ناشئ منه وملازم له. ثم إن فيه تجريداً حيث انتزع من كلب أمراً آخر يشبه ابن الطود في السرعة. والباء للملابسة، أي كأني دعوت ابن الطود ملابسا له. ويحتمل أنها للبدل، أي: دعوت بدله ابن الطود. أو بمعنى من. أي: دعوت منه ابن الطود. وقوله: أو هو، أي: كلب أسرع من ابن الطود في الإجابة. ينظر لسان العرب (طود)، المخصص (٢٠٢/١٣)، أساس البلاغة (بنى)، (طود)، تهذيب اللغة (٤/١٤)، تاج العروس (طود).

(٢) قال محمود: «إن قلت: لم أخرت الصلة هنا وقد قدمت في قوله تعالى: ﴿هُوَ عَلَىٰ هَيْنٍ﴾؟ قلت: لأن المقصود مما نحن فيه خلاف المقصد هناك، فإنه اختصاص الله تعالى بالقدرة على إيلاد هم =

هو عليّ هين، وإن كان مستصعباً عندكم أن يولد بين هم^(١) وعافر؛ وأما ههنا فلا معنى للاختصاص، كيف والأمر مبني على ما يعقلون من أن الإعادة أسهل من الابتداء؛ فلو قدمت الصلة لتغير المعنى. فإن قلت: ما بال الإعادة استعظمت في قوله: ﴿ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ﴾ حتى كأنها فضلت على قيام السموات والأرض بأمره^(٢)، ثم هَوّنت بعد ذلك؟ قلت: الإعادة في نفسها عظيمة، ولكنها هَوّنت بالقياس إلى الإنشاء. وقيل الضمير في عليه للخلق. ومعناه: أن البعث أهون على الخلق من الإنشاء، لأن تكوينه في حدّ الاستحكام، والتمام أهون عليه وأقلّ تعباً وكبدًا، من أن ينتقل في أحوال ويندرج فيها إلى أن يبلغ ذلك الحدّ. وقيل: الأهون بمعنى الهين. ووجه آخر: وهو أن الإنشاء من قبيل التفضل الذي يتخير فيه الفاعل بين أن يفعله وأن لا يفعله، والإعادة من قبيل الواجب الذي لا بدّ له من فعله، لأنها لجزء الأعمال وجزاؤها واجب^(٣)، والأفعال: إما محال والمحال ممتنع أصلاً^(٤) خارج عن

= والعافر، وأما المقصد هنا فلا معنى للاختصاص فيه، كيف والأمر مبني على ما يعتقده في الشاهد من أن الإعادة أسهل من الابتداء، فالاختصاص يغير المعنى قال أحمد: كلام نفيس يستحق أن يكتب بذوب التبر لا بالحبر، وإنما يلقي الاختصاص من تقديم ما حقه أن يؤخر، وقد علمت مذهبه في مثل ذلك.

(١) قوله «أن يولد بين هم وعافر» في الصحاح «الهم» بالكسر. الشيخ الفاني. (ع)

(٢) قال محمود: «إن قلت: ما بال الإعادة استعظمت في قوله: ﴿ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ﴾ حتى كأنها فضلت على قيام السموات والأرض؟ قلت: الإعادة في نفسها عظيمة، ولكنها هونت بالنسبة إلى الإنشاء» قال أحمد: إنما يلقي في السؤال تعظيم الإعادة من عطفها بـثم، إيذاناً بتغاير مرتبتها وعلو شأنها. وقوله في الجواب: إنها هونت بالنسبة إلى الإنشاء لا يخلص، فإن الإعادة ذكرت ههنا عقيب قيام السموات والأرض بأمره. وقيامهما ابتداء وإنشاء أعظم من الإعادة، فيلزم تعظيم الإعادة بالنسبة إلى ما عطف عليه عن الإنشاء ويعود الإشكال، والمخلص - والله أعلم - جعل ثم على بابها لتراخي الزمان لا لتراخي المراتب، فعلى أن تكون مرتبة المعطوف عليه العليا، ومرتبة المعطوف هي الدنيا. وذلك نادر في مجيئها لتراخي المراتب، فإن المعطوف حينئذ في أكثر المواضع أرفع درجة من المعطوف عليه، والله أعلم.

(٣) قوله «وجزاؤها واجب... إلخ» هذا عند المعتزلة، ولا يجب على الله شيء عند أهل السنة كما تقدم في محله. (ع)

(٤) عاد كلامه: قال في تقرير معنى قوله وهو أهون عليه: الأفعال إما ممتنع عقلاً لذاته، وإما ممتنع لصارف يصرف الحكيم عن فعله. وإما تفضل يتخير الحكيم فيه بين أن يفعل وأن لا. وإما واجب على الحكيم أن يفعله فالإنشاء الأول من قبيل التفضل، وأما الإعادة فواجبة على الله تعالى لأجل الجزاء، فلما كانت واجبة كانت أبعد الأفعال عن الممتنع، فلذلك وصفت بالتسهيل وكانت أهون من الإنشاء» قال أحمد: لقد ضلّ وصد عن السبيل، فلا نوافقه ولا نرافقه، والحق: أن لا واجب على الله تعالى؛ وكل ما ذكره في هذا الفصل نزغات قدرية، على أنها أيضاً غير مستقيمة على أصولهم المجتنة، فإن مقتضاها وجوب الإنشاء في الحكمة؛ إذ لولا مصلحة اقتضت الإنشاء لما وقع، وتلك المصلحة توجب متعلقها، فقد وضع أن المصنف لا إلى معالي السنة رقي، ولا في =

المقدور، وأما ما يصرف الحكيم عن فعله صارف وهو القبيح، وهو رديف المحال؛ لأن الصارف يمنع وجود الفعل كما تمنعه الإحالة. وإما تفضل والتفضل حالة بين بين، للفاعل أن يفعل وأن لا يفعل. وإما واجب لا بدّ من فعله، ولا سبيل إلى الإخلال به، فكان الواجب أبعد الأفعال من الامتناع وأقربها من الحصول. فلما كانت الإعادة من قبيل الواجب، كانت أبعد الأفعال من الامتناع. وإذا كانت أبعدا من الامتناع، كانت أدخلها في الثاني والتسهيل، فكانت أهون منها^(١). وإذا كانت أهون منها كانت أهون من الإنشاء ﴿وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى﴾ أي: الوصف الأعلى الذي ليس لغيره مثله قد عرف به. ووصف في السموات والأرض على السنة الخلائق والسنة الدلائل، وهو أنه القادر الذي لا يعجز عن شيء من إنشاء وإعادة وغيرهما من المقدورات، ويدل عليه قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ أي القاهر لكل مقدور، الحكيم الذي يجري كل فعل على قضايا حكمته وعلمه. وعن مجاهد: المثل الأعلى: قول لا إله إلا الله، ومعناه: وله الوصف الأعلى الذي هو الوصف بالوحدانية. ويعضده قوله تعالى: ﴿ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ [الروم: ٢٨] وقال الزجاج: وله المثل الأعلى في السموات والأرض، أي: قوله تعالى: ﴿وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ [الروم: ٢٧] قد ضربه لكم مثلاً فيما يصعب ويسهل. يريد: التفسير الأول.

﴿ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ هَلْ لَّكُمْ مِّنْ مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِّنْ شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْتَكُمْ فَأَنْتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ (٢٨)

فإن قلت: أي فرق بين الأولى والثانية والثالثة في قوله تعالى: ﴿مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾، ﴿مِّنْ شُرَكَاءَ﴾، ﴿مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾، قلنا: الأولى للابتداء، كأنه قال: أخذ مثلاً وانتزعه من أقرب شيء منكم وهي أنفسكم ولم يبعد، والثانية للتبويض، والثالثة لمزيدة لتأكيد الاستفهام الجاري مجرى النفي. ومعناه: هل ترضون لأنفسكم - وعبيدكم أمثالكم بشر كبشر وعبيد كعبيد - أن يشارككم بعضهم ﴿فِي مَا رَزَقْتَكُمْ﴾ من الأموال وغيرها تكونون أنتم وهم فيه على السواء، من غير تفصلة بين حرّ وعبد: تهابون أن تستبدوا بتصرف دونهم، وأن تفتاتوا بتدبير عليهم كما يهاب بعضهم بعضاً من الأحرار، فإذا لم ترضوا بذلك لأنفسكم، فكيف ترضون لرب الأرباب ومالك الأحرار والعبيد أن تجعلوا بعض عبيده له شركاء؟ ﴿كَذَلِكَ﴾ أي مثل هذا التفصيل ﴿نُفَصِّلُ الْآيَاتِ﴾ أي نبينها: لأن التمثيل مما يكشف

= حضيض الاعتزال بقي، فلله العصمة.

(١) قوله «فكانت أهون منها» أي من بقية الأفعال. (ع)

المعاني ويوضحها؛ لأنه بمنزلة التصوير والتشكيل لها. ألا ترى كيف صوّر الشرك بالصورة المشوّهة؟

﴿بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ فَمَنْ يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾ (٢٩)

﴿الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ أي أشركوا، كقوله تعالى: إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ أي اتبعوا أهواءهم جاهلين، لأنّ العالم إذا ركب هواه ربما ردعه علمه وكفه. وأما الجاهل فيهم على وجهه كالبهيمة لا يكفه شيء ﴿مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ﴾ من خذله^(١) ولم يلطف به، لعلمه أنه ممن لا لطف له، فمن يقدر على هداية مثله. وقوله: ﴿وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾ دليل على أن المراد بالإضلال الخذلان.

﴿فَأَقْمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا يَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَدِيمُ وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٣٠) ﴿مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (٣١) ﴿مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ (٣٢)

﴿فَأَقْمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ﴾ فقوم وجهك له وعدله، غير ملتفت عنه يمينا ولا شمالا، وهو تمثيل لإقباله على الدين، واستقامته عليه، وثباته، واهتمامه بأسبابه، فإن من اهتم بالشيء عقد عليه طرفه، وسدد إليه نظره، وقوم له وجهه، مقبلاً به عليه. و﴿حَنِيفًا﴾ حال من المأمور. أو من الدين ﴿فِطْرَتَ اللَّهِ﴾ أي الزموا فطرة الله / ٢ / ٩٠ ب. أو عليكم فطرة الله. وإنما أضمرته على خطاب الجماعة لقوله: ﴿مُنِيبِينَ إِلَيْهِ﴾ ومنيبين: حال من الضمير في: الزموا. وقوله: ﴿وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا﴾... ﴿وَلَا تَكُونُوا﴾ معطوف على هذا المضمّر. والفطرة: الخلقة. ألا ترى إلى قوله: ﴿لَا يَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ﴾ والمعنى: أنه خلقهم قابلين للتوحيد ودين الإسلام، غير نائين عنه ولا منكّرين له، لكونه مجاباً للعقل، مساوفاً للنظر الصحيح، حتى لو تركوا لما اختاروا عليه ديناً آخر، ومن غوى منهم فباغوا شياطين الإنس والجن. ومنه قوله ﷺ: «كل عبادي خلقت حنفاء فاجتالتهم الشياطين^(٢) عن دينهم وأمروهم أن

(١) قوله «من أضل الله»: من خذله» تأويل الإضلال بذلك مبني على أنه تعالى لا يخلق الشر، وهو مذهب المعتزلة، وذهب أهل السنة إلى أنه يخلق الشر كالخير، فالآية على ظاهرها. (ع)

(٢) قوله «فاجتالتهم الشياطين» أدارتهم. أفاده الصحاح. (ع)

يشركوا بي غيري» (١١٣٧)، وقوله عليه السلام: كل مولود يولد على الفطرة حتى يكون أبواه هما اللذان يهودانه وينصرانه» (١١٣٨)، ﴿لَا يَدْرِي لِمَ لَخَقَّ اللَّهُ﴾ أي ما ينبغي أن تبدل

١١٣٧ - أخرجه مسلم (٢١٩٧/٤ - ٢١٩٨) كتاب الجنة وصفة نعيمها باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار حديث (٢٨٦٥/٦٣) وابن ماجه (١٣٩٩/٢) كتاب الزهد: باب البراءة من الكبر والتواضع حديث (٤١٧٩) مختصراً، وأحمد (١٦٢/٤ - ١٦٦) والنسائي في «فضائل القرآن» رقم (٩٥ - ٩٦) من حديث عياض بن حمار مرفوعاً.

قال الحافظ في تخريج الكشاف: أخرجه مسلم من حديث عياض بن حمار به وأتم منه. انتهى.

١١٣٨ - أخرجه البخاري (٤٩٣/١١) كتاب القدر: باب الله أعلم بما كانوا عاملين، الحديث (٦٥٩٩)، ومسلم (٢٠٤٨/٤): كتاب القدر: باب معنى كل مولود يولد على الفطرة، الحديث (٢٦٥٨/٢٥)، وأبو داود (٨٦/٥): كتاب السنة: باب في ذراري المشركين، الحديث (٤٧١٤)، والترمذي (٣/٣٠٣): كتاب القدر: باب كل مولود يولد على الفطرة، الحديث (٣٢٢٣)، ومالك (١/٢٤١): كتاب الجنائز: باب جامع الجنائز، الحديث (٥٢)، وأحمد (٢٣٣/٢)، والحميدي (٤٧٣/٢)، رقم (١١١٣)، وعبد الرزاق (٢٠٠٨٧)، وأبو يعلى (١٩٧/١١)، رقم (٦٣٠٦) وابن حبان (١٢٨ - ١٣٠)، وأبو نعيم في الحلية (٣٢٨/٩)، من حديث أبي هريرة، أن رسول الله - ﷺ - قال: كل مولود يولد على الفطرة؛ فأبواه يهودانه، أو ينصرانه، أو يمجسانه، كما تنتج الإبل جمعاء، هل تحس فيها من جدعاء، قالوا: يا رسول الله: أ رأيت الذي يموت وهو صغير، قال: الله أعلم بما كانوا عاملين.

ولفظ مسلم مصدراً بلفظ: «كل إنسان تلده أمه على الفطرة، وأبواه بعد يهودانه وينصرانه ويمجسانه، فإن كانا مسلمين فمسلم، كل إنسان تلده أمه، يلكر الشيطان في حضنيه إلا مريم وابنها.

وفي الباب عن جابر والأسود بن سريع وابن عباس وسمرة بن جندب.

- حديث جابر:

أخرجه أحمد (٣٥٣/٣) من طريق أبي جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن الحسن عن جابر قال: قال رسول الله - ﷺ -: «كل مولود يولد على الفطرة حتى يعرب عنه لسانه فإذا عبر عنه لسانه، إما شاكراً وإما كفوراً».

وذكره الهيثمي في «المجمع» (٢٢١/٧) وقال: رواه أحمد وفيه أبو جعفر الرازي وهو ثقة وفيه خلاف وبقي رجاله ثقات.

- حديث الأسود بن سريع:

أخرجه أحمد (٤٣٥/٣) وابن حبان (١٦٥٨ - موارد) وأبو يعلى (٢٤٠/٢) رقم (٩٤٢) والطبراني في «الكبير» (٢٨٣/١) رقم (٨٢٨) والطحاوي في «مشكل الآثار» (١٦٣/٢) من حديث الأسود بن سريع بمثل حديث جابر.

وذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٣١٩/٥) وقال: رواه أحمد بأسانيد والطبراني في الكبير والأوسط... وبعض أسانيد أحمد رجاله رجال الصحيح.

- حديث ابن عباس:

أخرجه البزار في «مسنده» (٢١٦٧ - كشف) وذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٢٢١/٧) بلفظ: كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه وينصرانه.

=

تلك الفطرة أو تغيير. فإن قلت: لم وحد الخطاب أولاً، ثم جمع؟ قلت: خوطب رسول الله - ﷺ - أولاً، وخطاب الرسول خطاب لأمة مع ما فيه من التعظيم للإمام، ثم جمع بعد ذلك للبيان والتلخيص ﴿مِنَ الَّذِينَ﴾ بدل من المشركين ﴿فَرَّقُوا دِينَهُمْ﴾ تركوا دين الإسلام. وقرئ: فرَّقوا دينهم بالتشديد، أي: جعلوه أدياناً مختلفة لاختلاف أهوائهم ﴿وَكَانُوا شِيعَةً﴾ فرقاً، كل واحدة تشايح إمامها الذي أضلها ﴿كُلُّ حِزْبٍ﴾ منهم فرح بمذهبه مسرور، يحسب باطله حقاً - ويجوز أن يكون (من الذين) منقطعاً مما قبله، ومعناه: من المفارقين دينهم كل حزب فرحين بما لديهم، ولكنه رفع فرحون على الوصل لكل؛ كقوله [من الطويل]:

وَكُلُّ خَلِيلٍ غَيْرُ هَاضِمٍ نَفْسِهِ (١)

﴿وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُمْ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا أَذَاهُمْ مِّنْهُ رَحْمَةٌ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ﴾ (٣٣) لِيَكْفُرُوا بِمَا ءَالَيْنَهُمْ فَتَمْتَعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾

الضر: الشدة من هزال أو مرض أو قحط أو غير ذلك. والرحمة: الخلاص من الشدة. واللام في ﴿يَكْفُرُوا﴾ مجاز مثلها في ﴿لِيَكُونَ لَهُمْ عَذَابٌ﴾. ﴿فَتَمْتَعُوا﴾ نظير ﴿أَعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ﴾ ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ وبال تمتعكم. وقرأ ابن مسعود: وليتمتعوا.

﴿أَمْ أُنزِلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا فَهُمْ يَنْتَكُم بِمَا كَانُوا بِهِ يُشْرِكُونَ﴾ (٣٥)

السلطان: الحجة، وتكلمه. مجاز، كما تقول: كتابه ناطق بكذا، وهذا مما نطق به القرآن. ومعناه: الدلالة والشهادة، كأنه قال: فهو يشهد بشركهم وبصحته. وما في ﴿بِمَا

= وقال الهيثمي: رواه البزار وفيه ممن لم أعرفه غير واحد.

- حديث سمرة بن جندب:

أخرجه البزار (٢١٦٦ - كشف) وذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/٢٢١) وقال: رواه البزار

وفيه عباد بن منصور وهو ضعيف ونقل عن يحيى القطان أنه وثقه.

قال الحافظ في تحريج الكشف: متفق عليه من حديث أبي هريرة. انتهى.

(١) وكل خليل غير هاضم نفسه فبالصد والإعراض عنه جدير

للشماخ: ويروى: بدل الشطر الثاني: بوصل خليل صارم أو مصاد. وغير هاضم - بالرفع -: صفة كل. أو بالجر: صفة خليل، أي: من لم يخفض نفسه لصاحبه فهو حقيق بالصد والإعراض عنه لا بالمودة. وزادت الفاء، لأن المبتدأ فيه معنى الشرط. والصارم: القاطع. والمصادر: المجانب، أي: من لم يهضم نفسه لوصول خليله، أدى به ذلك إلى القطيعة، فإن لم تكن فإلى المجانية، فكانه مقاطع، أو مجانب بالفعل.

كَتُوبًا مَصْدَرِيَّةً أَي: بِكَوْنِهِمْ بِاللَّهِ يَشْرِكُونَ. وَيَجُوزُ أَنْ تَكُونَ مُوصُولَةً وَيَرْجِعُ الضَّمِيرُ إِلَيْهَا. وَمَعْنَاهُ: فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِالْأَمْرِ الَّذِي بِسَبَبِهِ يَشْرِكُونَ. وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ الْمَعْنَى: أَمْ أَنْزَلْنَا عَلَيْهِمْ ذَا سُلْطَانٍ، أَي: مُلْكًا مَعَهُ بَرَهَانٌ فَذَلِكَ الْمَلِكُ يَتَكَلَّمُ بِالْبَرَهَانِ الَّذِي بِسَبَبِهِ يَشْرِكُونَ.

﴿وَإِذَا أَدْفَنَّا النَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا بِهَا وَإِنْ تُصِيبَهُمْ سَيِّئَةٌ يِمَّا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ

يَقْنَطُونَ ﴿٣٦﴾﴾

﴿وَإِذَا أَدْفَنَّا النَّاسَ رَحْمَةً﴾ أَي نِعْمَةً مِنْ مَطَرٍ أَوْ سَعَةٍ أَوْ صَحَةٍ ﴿فَرِحُوا بِهَا وَإِنْ تُصِيبَهُمْ سَيِّئَةٌ﴾ أَي بَلَاءٌ مِنْ جَدَبٍ أَوْ ضَيْقٍ أَوْ مَرَضٍ - وَالسَّبَبُ فِيهَا شَوْمٌ مُعَاصِيهِمْ - قَنْطَطُوا مِنْ الرَّحْمَةِ.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٣٧﴾﴾

ثُمَّ أَنْكَرَ عَلَيْهِمْ بِأَنَّهُمْ قَدْ عَلِمُوا أَنَّهُ هُوَ الْبَاسِطُ الْقَابِضُ، فَمَا لَهُمْ يَقْنَطُونَ مِنْ رَحْمَتِهِ، وَمَا لَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ إِلَيْهِ تَائِبِينَ مِنَ الْمَعَاصِي الَّتِي عَوْقَبُوا بِالشَّدَةِ مِنْ أَجْلِهَا، حَتَّى يَعِيدَ إِلَيْهِمْ رَحْمَتَهُ.

﴿ثُمَّ إِنَّ دَا الْفَرَقَيْنِ حَقُّهُ وَالْمُسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ ذَلِكَ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمْ

الْمُفْلِحُونَ ﴿٣٨﴾﴾

حَقُّ ذِي الْقُرْبَى: صَلََةُ الرَّحِمِ. وَحَقُّ الْمُسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ: نَصِيبُهُمَا مِنَ الصَّدَقَةِ الْمَسْمُومَةِ لَهُمَا وَقَدْ احْتَجَّ أَبُو حَنِيفَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ بِهَذِهِ الْآيَةِ فِي وَجُوبِ النِّفَقَةِ لِلْمَحَارِمِ إِذَا كَانُوا مُحْتَاجِينَ عَاجِزِينَ عَنِ الْكَسْبِ. وَعِنْدَ الشَّافِعِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ: لَا نِفَقَةٌ بِالْقَرَابَةِ إِلَّا عَلَى الْوَلَدِ وَالْوَالِدَيْنِ: قَاسَ سَائِرَ الْقَرَابَاتِ عَلَى ابْنِ الْعَمِّ، لِأَنَّهُ لَا وَلَدَ بَيْنَهُمْ. إِنْ قُلْتَ: كَيْفَ تَعْلُقُ قَوْلَهُ: ﴿ثُمَّ إِنَّ دَا الْفَرَقَيْنِ﴾ بِمَا قَبْلَهُ حَتَّى جِيءَ بِالْفَاءِ؟ قُلْتَ: لَمَّا ذَكَرَ أَنَّ السَّيِّئَةَ أَصَابَتْهُمْ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ، أَتْبَعَهُ ذِكْرَ مَا يَجِبُ أَنْ يَفْعَلَ وَمَا يَجِبُ أَنْ يَتْرَكَ ﴿يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ﴾ يَحْتَمِلُ أَنْ يَرَادَ بِوَجْهِهِ ذَاتُهُ أَوْ جِهَتُهُ وَجَانِبُهُ، أَي: يَقْصِدُونَ بِمَعْرِفَتِهِمْ إِيَّاهُ خَالِصًا وَحَقًّا، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِلَّا آيَاتَهُ وَجْهَ رَبِّهِ الْأَعْلَى ﴿٢٠﴾﴾ [الْبَلَدُ: ٢٠] أَوْ يَقْصِدُونَ جِهَةَ التَّقَرُّبِ إِلَى اللَّهِ لَا جِهَةَ أُخْرَى، وَالْمَعْنَيَانِ مُتَقَارِبَانِ، وَلَكِنْ الطَّرِيقَةُ مُخْتَلِفَةٌ.

﴿وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ رَبِّكَ لِيَرْبُوا فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرْبُوا عِنْدَ اللَّهِ وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ زَكَاةٍ تُرِيدُونَ

وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ ﴿٣٩﴾﴾

هَذِهِ الْآيَةُ فِي مَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَمْنَحُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرِي الْمَصْدَقَاتِ﴾ [البقرة: ٢٧٦] سِوَاءَ بَسْوَاءٍ، يُرِيدُ: وَمَا أُعْطِيتُمْ أَكْلَةَ الرِّبَا ﴿مِنْ رَبِّكَ لِيَرْبُوا فِي أَمْوَالِهِمْ﴾ لِيَزِيدَ وَيَزَكُو فِي أَمْوَالِهِمْ،

فلا يزكو عند الله ولا يبارك فيه ﴿وَمَا آتَيْتُم مِّن دَّكْوَرٍ﴾ أي صدقة تبتغون به وجهه خالصا، لا تطلبون به مكافأة ولا رياء وسمعة ﴿فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُضْغِفُونَ﴾ ذوو الإضعاف من الحسنات. ونظير المضعف: المقوي والموسر، لذي القوة واليسار: وقرئ بفتح العين. وقيل: نزلت في ثقيف، وكانوا يربون. وقيل: المراد أن يهب الرجل للرجل أو يهدي له، ليعوضه أكثر مما وهب أو أهدي، فليست تلك الزيادة بحرام، ولكن المعوض لا يثاب على تلك الزيادة. وقالوا: الربا ربوان؛ فالحرام: كل قرض يؤخذ فيه أكثر منه: أو يجزّ منفعة. والذي ليس بحرام: أن يستدعي بهبته أو بهديته أكثر منها/ ٢/ ٩١. وفي الحديث «المستغفر يثاب من هبته» (١١٣٩). وقرئ: وما أتيتم من ربا، بمعنى: وما غشيتموه أو رهقتموه من إعطاء ربا. وقرئ: لتربوا، أي: لتزيدوا في أموالهم كقوله تعالى: ﴿وَيَرْبِي السَّكَنَاتِ﴾ [البقرة: ٢٧٦] أي يزيدها. وقوله تعالى: ﴿فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُضْغِفُونَ﴾ التفات حسن، كأنه قال لملائكته وخواص خلقه: فأولئك الذين يريدون وجه الله بصدقاتهم: هم المضعفون. فهو أمدح لهم من أن يقول: فأنتم المضعفون. والمعنى: المضعفون به، لأنه لا بد من ضمير يرجع إلى ما، ووجه آخر: وهو أن يكون تقديره: فمؤتوه أولئك هم المضعفون. والحذف لما في الكلام من الدليل عليه، وهذا أسهل مأخذا، والأول أملا بالفائدة.

﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَٰذَا مِن شُرَكَائِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن دَلِيلِكُمْ مِّن شَيْءٍ سُبْحَنَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾

﴿اللَّهُ﴾ مبتدأ وخبره ﴿الَّذِي خَلَقَكُمْ﴾ أي الله هو فاعل هذه الأفعال الخاصة التي لا يقدر على شيء منها أحد غيره، ثم قال: ﴿هَٰذَا مِن شُرَكَائِكُم﴾ الذين اتخذتموهم أندادا له من الأصنام وغيرها ﴿مَّن يَفْعَلُ﴾ شيئا قط من تلك الأفعال؛ حتى يصح ما ذهبتم إليه، ثم استبعد حاله من حال شركائهم. ويجوز أن يكون ﴿الَّذِي خَلَقَكُمْ﴾ صفة للمبتدأ، والخبر: هل من شركائكم، وقوله: ﴿مِن دَلِيلِكُمْ﴾ هو الذي ربط الجملة بالمبتدأ، لأن معناه: من أفعاله ومن الأولى والثانية والثالثة: كل واحدة منهن مستقلة بتأكيد، لتعجيز شركائهم، وتجهيل عبدتهم.

١١٣٩ - قال الزيلعي في «تخريج الكشاف» (٥٨/٢): لم أجده إلا من قول شريح، رواه ابن أبي شيبة في البيوع ثنا ابن أبي زائدة عن هشام عن ابن سيرين عن شريح قال: المستغفر يثاب من هبته أو ترد عليه.

ورواه عبد الرزاق في «مصنفه» في الهبة: أخبرنا معمر عن أيوب عن ابن سيرين به. اهـ. وقال الحافظ ابن حجر في «تخريج الكشاف»: أخرجه ابن أبي شيبة وعبد الرزاق من وجهين عن ابن سيرين عن شريح بهذا موقوفاً.

﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ
يَرْجِعُونَ﴾ (٤١)

﴿الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ نحو: الجذب، والقحط، وقلة الرِّيع في الزراعات والريح في
التجارات، ووقوع الموتان في الناس والدواب، وكثرة الحرق والغرق، وإخفاق
الصيادين^(١) والغاصة، ومحق البركات من كل شيء، وقلة المنافع في الجملة وكثرة
المضار. وعن ابن عباس: أجذبت الأرض وانقطعت مادة البحر. وقالوا: إذا انقطع القطر
عميت دواب البحر. وعن الحسن أن المراد بالبحر: مدن البحر وقراه التي على شاطئه.
وعن عكرمة: العرب تسمي الأمصار البحار. وقرئ في البر والبحور ﴿بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي
النَّاسِ﴾ [الروم: ٤١] بسبب معاصيهم وذنوبهم، كقوله تعالى: ﴿وَمَا أَصْبَحْكُمْ مِنْ مَّصِيبَةٍ فَمَا
كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ [الشورى: ٣٠] وعن ابن عباس ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ﴾ بقتل ابن آدم أخاه.
وفي البحر بأن جلندى كان يأخذ كل سفينة غصباً: وعن قتادة: كان ذلك قبل البعث، فلما
بعث رسول الله - ﷺ - رجع راجعون عن الضلال والظلم. ويجوز أن يريد ظهور الشر
والمعاصي بكسب الناس ذلك. فإن قلت: ما معنى قوله: ﴿لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ
يَرْجِعُونَ﴾؟ قلت: أما على التفسير الأول فظاهر، وهو أن الله قد أفسد أسباب دنياهم
ومحقها، ليذيقهم وبال بعض أعمالهم في الدنيا قبل أن يعاقبهم بجميعها في الآخرة،
لعلهم يرجعون عما هم عليه. وأما على الثاني فاللام مجاز، على معنى أن ظهور الشرور
بسببهم ما استوجبوا به أن يذيقهم الله وبال أعمالهم إرادة الرجوع، فكانهم إنما أفسدوا
وتسببوا لفشو المعاصي في الأرض لأجل ذلك. وقرئ: لنذيقهم، بالنون.

﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلُ كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُشْرِكِينَ﴾ (٤٢)

ثم أكد تسبب المعاصي لغضب الله ونكاله: حيث أمرهم بأن يسيروا في الأرض
فينظروا كيف أهلك الله الأمم وأذاقهم سوء العاقبة لمعاصيهم، ودل بقوله: ﴿كَانَ أَكْثَرُهُمْ
مُشْرِكِينَ﴾ على أن الشرك وحده لم يكن سبب تدميرهم، وأن ما دونه من المعاصي يكون
سبباً لذلك.

﴿فَاقْرَءْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَاسِمِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ يَوْمَئِذٍ يُصْدَعُونَ﴾ (٤٣)

القيم: البليغ الاستقامة، الذي لا يتأتى فيه عوج ﴿مِنْ اللَّهِ﴾ إما أن يتعلق بياتي، فيكون
المعنى: من قبل أن يأتي من الله يوم لا يرده أحد، كقوله تعالى: ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهُ﴾

(١) قوله «إخفاق الصيادين» في الصحاح: أخفق الصائد، إذا رجع ولم يصطد. (ع)

[الأنبياء: ٤٠] أو بمرّد، على معنى: لا يرّده هو بعد أن يجيء به، ولا ردّ له من جهته. والمرّد: مصدر بمعنى الردّ ﴿بَصَدَعُونَ﴾ يتصدعون: أي: يتفرّقون، كقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَقُومُ السَّاعَةَ يُؤْمِدُ يَفْرَقُونَ﴾ ﴿١٤﴾ [الروم: ١٤].

﴿مَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلَا نَفْسَ لَهُ يَهْدُونَهُ﴾ ﴿٤٤﴾ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾ ﴿٤٥﴾

﴿فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ﴾ كلمة جامعة لما لا غاية وراءه من المضارّ، لأنّ من كان ضاره كفره؛ فقد أحاطت به كلّ مضره ﴿فَلَا نَفْسَ لَهُ يَهْدُونَهُ﴾ أي يسوون لأنفسهم ما يسويه لنفسه الذي يمهّد فراشه ويوطئه، لئلا يصيبه في مضجعه ما ينبيه عليه وينغص عليه مرقده: من نتوء أو قضض^(١) أو بعض ما يؤذي الرائد. ويجوز أن يريد: فعلى أنفسهم يشفقون، من قولهم في المشفق: أمّ فرشت فأنامت. وتقديم الظرف في الموضعين للدلالة على أنّ ضرر الكفر لا يعود إلا على الكافر لا يتعداه. ومنفعة الإيمان والعمل الصالح: ترجع إلى المؤمن لا تتجاوزه ﴿لِيَجْزِيَ﴾ متعلق بيمهدون تعليل له ﴿مِنْ فَضْلِهِ﴾ مما يتفضل عليهم بعد توفية الواجب من الثواب؛ وهذا يشبه الكناية، لأن الفضل تبع للثواب، فلا يكون إلا بعد حصول ما هو تبع له: أو أراد من عطائه وهو ثوابه؛ لأن الفضول والفواضل هي الأعطية عند العرب. وتكرير ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ وترك الضمير إلى الصريح ٩١/٢ ب لتقرير أنه لا يفلح عنده إلا المؤمن الصالح. وقوله: ﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾ تقرير بعده تقرير، على الطرد والعكس.

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيحَ مُبَشِّرَاتٍ وَلِيَذِيقَكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَلِيَجْزِيَ أَلْفَ لَكٍ بِأَمْرِهِ وَلِيَبْنِعُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ ﴿٤٦﴾

﴿الرِّيحَ﴾ هي الجنوب والشمال والصبأ، وهي رياح الرحمة. وأما الدبور. فريح العذاب، ومنه قوله ﷺ: «اللهم اجعلها رياحاً ولا تجعلها ريحاً» (١١٤٠). وقد عدد

١١٤٠ - أخرجه الطبراني في «الكبير» (١١٥٣٣)، وأخرجه أبو يعلى (٣٤١/٤) رقم (٢٤٥٦) من طريق الحسين بن قيس عن عكرمة عن ابن عباس مرفوعاً.

وذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٣٨/١٠) وقال: رواه الطبراني وفيه حسين بن قيس الملقب بحنش وهو متروك، وقد وثقه حصين بن نمير، وبقية رجاله رجال الصحيح.

وذكره الحافظ ابن حجر في «المطالب العالية» (٣٣٧١) وعزاه لمسدد وأبي يعلى. وللحديث طريق =

(١) قوله «من نتوء أو قضض» التواء، الارتفاع، والقضض: صغار الحصى. أفاده الصحاح. (ع)

الأغراض في إرسالها، وأنه أرسلها للبشارة بالغيث ولإذافة الرحمة، وهي نزول المطر وحصول الخصب الذي يتبعه، والروح الذي مع هبوب الرياح وزكاء الأرض. قال رسول الله ﷺ: «إذا كثرت المؤتفكات زكت الأرض» (١١٤١). وإزالة العفونة من الهواء، وتذرية الحبوب، وغير ذلك ﴿وَلَنَجْزِيَنَّ الْفُلُكُ﴾ في البحر عند هبوبها. وإنما زاد ﴿يَأْمُرُ﴾ لأن الرياح قد تهب ولا تكون مؤاتية^(١)، فلا بد من إرساء السفن والاحتياط لحبسها، وربما عصفت فأغرقتها ﴿وَلَنَنْفُخَنَّ مِنْ فَضْلِهِ﴾ يريد تجارة البحر؛ ولتشكروا نعمة الله فيها. فإن قلت: بم يتعلق وليذيقكم؟ قلت: فيه وجهان: أن يكون معطوفاً على مبشرات على المعنى، كأنه قيل: ليسركم وليذيقكم. وأن يتعلق بمحذوف تقديره: وليذيقكم، وليكون كذا وكذا: أرسلناها.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَأَنفَقْنَا مِنَ الَّذِينَ آجَرُمُوا وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (١٧)

اختصر الطريق إلى الغرض بأن أدرج تحت ذكر الانتصار والنصر ذكر الفريقين، وقد أخلى الكلام أولاً عن ذكرهما. وقوله: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ تعظيم للمؤمنين

= آخر عن ابن عباس.

أخرجه الشافعي في «الأم» (٢٥٣/١) ومن طريقه البيهقي في «المعرفة» (١٠٧/٣). قال الشافعي: أخبرني من لا أنهم قال: ثنا العلاء بن راشد عن عكرمة عن ابن عباس مرفوعاً. قال الحافظ ابن حجر في «تخريج الكشاف»: أخرجه الشافعي: أخبرني من لا أنهم عن العلاء بن راشد عن عكرمة عن ابن عباس مرفوعاً نحوه. ومن طريقه. أخرجه في المعرفة وفي الدعوات، وهذا المبهم: هو إبراهيم بن أبي يحيى وهو ضعيف. وله طريق أخرى عند أبي يعلى والطبراني وابن عدي من رواية حسين بن قيس عن عكرمة به وحسين ضعيف أيضاً. وهذا المبهم هو إبراهيم بن أبي يحيى وهو ضعيف.

١١٤١ - قال الحافظ الزيلعي في «تخريج الكشاف» (٦٠/٣): غريب.

وقال الحافظ ابن حجر: لم أجده اهـ.

وقد ذكر هذا الحديث ابن قتيبة في «غريب الحديث» (٢٨٠/٢) وقال: يرويه إسماعيل بن أبي أويس عن كثير بن عبد الله المزني عن ربيع بن عبد الرحمن عن أبيه عن جده أبي سعيد. وذكره الخطابي أيضاً في «غريب الحديث» (٦٧٩/١) من قول بعض الأعراب فقال: وقال الأصمعي عن بعض الأعراب: إذا كثرت المؤتفكات زكت الأرض. قال الحافظ في تخريج الكشاف: لم أجده. انتهى.

(١) قوله «ولا تكون مؤاتية» في الصحاح: آتيته على ذلك الأمر مؤاتاة، إذا وافقته. والعامّة تقول: وآتيته. (ع)

ورفع من شأنهم، وتأهيل لكرامة سنية، وإظهار لفضل سابقة ومزية، حيث جعلهم مستحقين على الله أن ينصرهم، مستوجبين عليه أن يظهرهم ويظفرهم، وقد يوقف على (حقاً). ومعناه: وكان الانتقام منهم حقاً، ثم يتبدأ ﴿عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ وعن النبي ﷺ «ما من امرئ مسلم يرد عن عرض أخيه إلا كان حقاً على الله أن يرد عنه نار جهنم يوم القيامة» (١١٤٢). ثم تلا قوله تعالى: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

﴿اللَّهُ الَّذِي بَرِّسَ الرِّيحَ فَثِيرٌ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَجَعَلَهُمْ كَسْفًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ يُنْزَلَ عَلَيْهِمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمُبْلِسِينَ ﴿٤٩﴾﴾

﴿فَيَبْسُطُهُ﴾ متصلاً تارة ﴿وَجَعَلَهُمْ كَسْفًا﴾ أي قطعاً تارة ﴿فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ﴾ في التارتين جميعاً. والمراد بالسماء. سمت السماء وشقها، كقوله تعالى: ﴿وَفَرَعُهَا فِي

١١٤٢ - أخرجه الترمذي (٣٢٧/٤) كتاب البر والصلة باب ما جاء في الذب عن عرض المسلم حديث (١٩٣١)، وأحمد (٤٥٠/٦)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (١١١/٦) رقم (٧٦٣٥)، والطبراني في «الكبير» كما في «تخريج الكشاف» (٦١/٣) كلهم من طريق أبي بكر النهشلي عن مرزوق أبي بكر التيمي عن أم الدرداء عن أبي الدرداء مرفوعاً. وقال الترمذي: حديث حسن.

قلت: وفي تحسينه - رحمه الله - لهذا الحديث نظر؛ فإن مرزوقاً التيمي مجهول. وقال الحافظ في «التقريب» (٢٣٧/٢): مقبول. يعني عند المتابعة وإلا فلين الحديث. قال الزيلعي: قال ابن القطان في كتابه: ومانعه من الصحة مرزوق هذا؛ فإنه لم تثبت عدالته. قال الحافظ في تخريج أحاديث الكشاف: أخرجه الترمذي، وأحمد، والطبراني من حديث أبي الدرداء. وقال: حسن. ورواه إسحاق، والطبراني، وأبو يعلى، وابن عدي من طريق شهر بن حوشب عن أسماء بنت يزيد مرفوعاً نحوه وإسناده ضعيف. واختلف فيه على شهر بن حوشب: فقال العداج عنه هكذا، وقال ليث بن أبي سليم عنه عن أبي هريرة، أخرجه ابن مردويه. انتهى. وللحديث شاهد من حديث أسماء بنت يزيد أخرجه أحمد (٤٦١/٦)، وابن المبارك في الزهد (٦٨٧)، وعبد بن حميد في «المنتخب من المسند» رقم (١٥٧٩)، وأبو نعيم في «الحلية» (٦/٦٧)، والطبراني في «الكبير» (٤٤٢ - ٤٤٣) كلهم من طريق عبيد الله بن أبي زياد عن شهر بن حوشب عن أسماء بنت يزيد قالت: قال رسول الله - ﷺ -: «من ذب عن لحم أخيه بالغيب كان حقاً على الله أن يعتقه من النار». وأخرجه أيضاً إسحاق بن راهويه وأبو يعلى كما في «تخريج الكشاف» (٦١/٣). وشهر بن حوشب ضعيف.

وعبيد الله بن أبي زياد القداح. قال الحافظ: ليس بالقوي. وقد خولف في هذا الحديث خالفه ليث بن أبي سليم، فرواه عن شهر بن حوشب عن أم الدرداء عن أبي الدرداء مرفوعاً. أخرجه أحمد (٤٤٩/٦).

لَسَكَمَ» [إبراهيم: ٢٤]، وبإصابة العباد: إصابة بلادهم وأراضيهم ﴿مِنْ قَبْلِهِ﴾ من باب التكرير والتوكيد، كقوله تعالى: ﴿فَكَانَ عَاقِبَتُهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا﴾ [الحشر: ١٧]. ومعنى التوكيد فيه: الدلالة على أن عهدهم بالمطر قد تجاوز وبعده، فاستحكم بأسهم وتمادى إبلاسهم^(١) فكان الاستبشار على قدر اغتمامهم بذلك.

﴿فَانْظُرْ إِلَىٰ آثَرِ رَحْمَةِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْيِي الْمَوْتِ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ﴿٥١﴾

قرئ: أثر وآثار، على الوحدة والجمع. وقرأ أبو حيوه وغيره: كيف تحيي، أي: الرحمة ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ﴾ يعني إن ذلك القادر الذي يحيي الأرض بعد موتها، هو الذي يحيي الناس بعد موتهم ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ﴾ من المقدورات قادر، وهذا من جملة المقدورات بدليل الإنشاء.

﴿وَلَيْنَ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَّظَلُّوا مِنْ بَعْدِهِ يَكْفُرُونَ﴾ ﴿٥١﴾ فَإِنَّكَ لَا تَسْمِعُ الْمَوْتِ وَلَا تَسْمِعُ الضُّمَّةَ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ ﴿٥٢﴾ وَمَا أَنْتَ بِهَادٍ الْعَمَىٰ عَنْ ضَلَالَتِهِمْ إِنْ تَسْمِعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ﴾ ﴿٥٣﴾

﴿فَرَأَوْهُ﴾ فرأوا أثر رحمة الله. لأن رحمة الله هي الغيث، وأثرها: النبات. ومن قرأ بالجمع: رجع الضمير إلى معناه؛ لأن معنى آثار الرحمة النبات، واسم النبات يقع على القليل والكثير، لأنه مصدر سمي به ما ينبت. ولئن: هي اللام الموطئة للقسم، دخلت على حرف الشرط، و﴿لَظَلُّوا﴾ جواب القسم سذ مسذ الجوابين، أعني: جواب القسم وجواب الشرط، ومعناه: ليظنن ذمهم الله تعالى بأنه إذا حبس عنهم القطر قنطوا من رحمته وضربوا أذقانهم على صدورهم مبلسين، فإذا أصابهم برحمته ورزقهم المطر: استبشروا وابتهجوا، فإذا أرسل ريحاً فضرب زروعهم بالصفار، ضجوا وكفروا بنعمة الله. فهم في جميع هذه الأحوال على الصفة المذمومة، كان عليهم أن يتوكلوا على الله وفضله. فقنطوا. وأن يشكروا نعمته ويحمدوه عليها. فلم يزدوا على الفرح والاستبشار. وأن يصبروا على بلائه، فكفروا. والريح التي اصفر لها النبات: يجوز أن تكون حروراً وحرجفاً. فكلتاها مما يصوح^(٢) له النبات ويصبح هشيماً. وقال: مصفراً: لأن تلك

(١) قوله «إبلاسهم» الإلاس: اليأس من الخير. والسكوت، والانكسار غماً وحزناً. أفاده الصحاح. (ع)

(٢) قوله «وحرجفاً... إلخ» في الصحاح «الحرجف»: الريح الباردة. وفيه أيضاً «صوحته الريح»: أبيضته. (ع)

صفرة حادثة. وقيل: فرأوا السحاب مصفراً، لأنه إذا كان كذلك لم يمطر.

﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ ۖ ۙ ۚ ۛ ۜ ۝ ٢/٩٢ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ﴾ (٥٤)

قرئ: بفتح الضاد وضمها، وهما لغتان، والضم أقوى في القراءة، لما روى ابن عمر - رضي الله عنهما - قال: قرأتها على رسول الله - ﷺ - من ضَعَفٍ، فأقراني من ضَعَفٍ (١١٤٣). وقوله: ﴿خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ﴾ [الروم: ٥٤] كقوله: ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَجٍ﴾ [الأنبياء: ٣٧] يعني أن أساس أمركم وما عليه جبلتكم وبنيتكم الضعف ﴿وَخَلَقَ الْإِنْسَانَ ضَعِيفًا﴾ [النساء: ٢٨] أي ابتدأنكم في أول الأمر ضعافاً. وذلك حال الطفولة والنشء حتى بلغتم وقت الاحتلام والشبيبة، وتلك حال القوة إلى الاكتهال وبلوغ الأشد، ثم رددتم إلى أصل حالكم وهو الضعف بالشيخوخة والهرم. وقيل: من ضعف من النطف، كقوله تعالى: ﴿مِنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ﴾ وهذا التردد في الأحوال المختلفة، والتغيير من هيئة إلى هيئة وصفة إلى صفة: أظهر دليل وأعدل شاهد على الصانع العليم القادر.

﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لِيُسَوِّدَنِي سَاعَةٌ كَذَلِكَ كَانُوا يُوَفَّكُونَ﴾ (٥٥)

﴿السَّاعَةُ﴾ القيامة، سميت بذلك لأنها تقوم في آخر ساعة من ساعات الدنيا، أو لأنها تقع بغتة وبديهة. كما تقول: «في ساعة» لمن تستعجله، وجرت علماً لها كالنجم للثريا، والكوكب للزهرة. وأرادوا: لبثهم في الدنيا، أو في القبور، أو فيما بين فناء الدنيا إلى البعث. وفي الحديث: «ما بين فناء الدنيا إلى وقت البعث أربعون» (١١٤٤). قالوا: لا

١١٤٣ - أخرجه أبو داود (٣٣/٤) كتاب الحروف والقراءات: حديث (٣٩٧٨)، والترمذي (١٨٩/٥) كتاب القراءات: باب ومن سورة الروم حديث (٢٩٣٦)، وإسحاق بن راهويه، والبزار كما في «تخريج الكشاف» كلهم من طريق عطية العوفي عن ابن عمر به.

وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث فضيل بن مرزوق. وأخرجه أبو داود (٣٢/٤) كتاب الحروف والقراءات حديث (٣٩٧٩) من طريق عبد الله بن جابر عن عطية العوفي عن أبي سعيد قال الزيلعي: ووهب ابن عساكر في أطرافه فعزاه للترمذي في ترجمة عطية عن الخدري وأهمله في ترجمة عطية عن ابن عمر.

وللحديث طريق آخر عن ابن عمر أخرجه ابن مردويه كما في «تخريج الكشاف» (٦٢/٣) من طريق سلام بن سليمان المدائني عن أبي عمرو بن العلاء عن نافع عن ابن عمر.

قال الحافظ في تخريج الكشاف: أخرجه أبو داود، والترمذي، وإسحاق، والبزار من حديث عطية عن ابن عمر دون التفسير، ورواه ابن مردويه من رواية أبي عمرو بن العلاء عن نافع عن ابن عمر، لكن في إسناده سلام بن سليمان. انتهى.

١١٤٤ - قال الزيلعي في «تخريج الكشاف» (٤٨٧/٣): غريب بهذا اللفظ.

نعلم أمي أربعون سنة أم أربعون ألف سنة؟ وذلك وقت يفنون فيه وينقطع عذابهم، وإنما يقدرون وقت لبثهم بذلك على وجه استقصارهم له. أو ينسون أو يكذبون أو يخمنون ﴿كَذَلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ﴾ أي مثل ذلك الصنف كانوا يصرفون عن الصدق والتحقيق في الدنيا، وهكذا كانوا يبنون أمرهم على خلاف الحق. أو مثل ذلك الإفك كانوا يؤفكون في الاعتراض بما تبين لهم الآن أنه ما كان إلا ساعة.

﴿وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْنَا فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ فَهَذَا يَوْمُ الْبَعْثِ وَلَكِنَّكُمْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٥٦﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَعْذِرَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٥٧﴾﴾

القائلون: هم الملائكة، والأنبياء، والمؤمنون ﴿فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾ في اللوح. أو في علم الله وقضائه. أو فيما كتبه، أي: أوجبه بحكمته. رذوا ما قالوه وحلفوا عليه، وأطلعوهم على الحقيقة ثم وصلوا ذلك بتقريعهم على إنكار البعث بقولهم: ﴿فَهَذَا يَوْمُ الْبَعْثِ وَلَكِنَّكُمْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ أنه حق لتفريطكم في طلب الحق واتباعه. فإن قلت: ما هذه الفاء؟ وما حقيقتها؟ قلت: هي التي في قوله [من الهزج]:

..... فَقَدْ جِئْنَا خُرَاسَانًا^(١)

وحقيقتها: أنها جواب شرط يدل عليه الكلام. كأنه قال: إن صح ما قلتم من أن خراسان أقصى ما يراد بنا فقد جئنا خراسان، وأن لنا أن نخلص، وكذلك إن كنتم منكرين البعث فهذا يوم البعث، أي فقد تبين بطلان قولكم، وقرأ الحسن يوم البعث، بالتحريك ﴿لَا يَنْفَعُ﴾ قرئ بالياء والتاء ﴿يُسْتَعْتَبُونَ﴾ من قولك: استعتبني فلان فأعتبته. أي: استرضاني فأرضيته. وذلك إذا كنت جانياً عليه. وحقيقة أعتبته: أزلت عتبه؛ ألا ترى إلى

= وقال الحافظ ابن حجر: لم أجده هكذا. اهـ.
والثابت في الصحيحين من حديث أبي هريرة مرفوعاً: ما بين النفختين أربعون قالوا: أربعون يوماً قال: أبيت، قالوا: أربعون شهراً؟ قال: أبيت، قالوا: أربعون سنة؟ قال: أبيت.
أخرجه البخاري (٥٥٨/٨) كتاب التفسير باب تفسير «عم يتساءلون» حديث (٤٩٣٥)، ومسلم (٤/ ٢٢٧٠ - ٢٢٧١) كتاب الفتن: باب ما بين النفختين حديث (٢٩٥٥/١٤١).
قال الحافظ في تخريج الكشاف: لم أجده هكذا. وفي الصحيحين عن أبي هريرة مرفوعاً «ما بين النفختين أربعون قالوا: يا أبا هريرة أربعون سنة؟ قال: أبيت، قالوا: أربعون شهراً؟ أبيت، قالوا: أربعون يوماً؟ قال: أبيت». انتهى.

(١) تقدم.

قوله [من الكامل]:

غَضِبْتَ تَوَيْمٌ أَنْ تُقْتَلَ عَامِرٌ يَوْمَ النَّسَارِ فَأَعْتَبُوا بِالصُّنَيْمِ^(١)

كيف جعلهم غضاباً، ثم قال: فأعتبوا، أي: أزيل غضبهم. والغضب في معنى العتب. والمعنى: لا يقال لهم أرضوا ربكم بتوبة وطاعة، ومثله قوله تعالى: ﴿لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا﴾ [الباقية: ٣٥]، ﴿وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾. فإن قلت: كيف جعلوا غير مستعتبين في بعض الآيات، وغير معتبين في بعضها، وهو قوله: (وإن يستعتبوا فما هم من المعتبين)؟ قلت: أما كونهم غير مستعتبين: فهذا معناه. وأما كونهم غير معتبين، فمعناه: أنهم غير راضين مما هم فيه، فشبهت حالهم بحال قوم جني عليهم، فهم عاتبون على الجاني غير راضين عنه، فإن يستعتبوا الله: أي يسألوه إزالة ما هم فيه، فما هم من المجابين إلى إزالته.

﴿وَلَقَدْ صَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَلَنْ جِثَّتْهُمْ بَيَّاتَةٌ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ﴾ (٥٨) كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٩﴾ فَأَصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفُّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾ (٦٠)

﴿وَلَقَدْ﴾ وصفنا لهم كل صفة كأنها مثل في غرابتها، وقصصنا عليهم كل قصة عجيبة الشأن، كصفة المبعوثين يوم القيامة، وقصتهم، وما يقولون وما يقال لهم، وما لا ينفع من اعتذارهم ولا يسمع من استعتابهم، ولكنهم - لقسوة قلوبهم ومج أسماعهم حديث الآخرة - إذا جثتهم بآية من آيات القرآن، قالوا: جثتنا بزور وباطل، ثم قال: مثل ذلك الطبع يطبع الله على قلوب الجهلة. ومعنى طبع الله: منع الألفاظ^(٢) التي ينشرح لها الصدور حتى تقبل الحق، وإنما يمنعه من علم أنها لا تجدي عليه ولا تغني عنه، كما يمنع الواعظ الموعظة من يتبين له أن الموعظة تلغو ولا تنجع فيه، فوقع ذلك كناية عن قسوة قلوبهم وركوب الصدأ والرين إياها، فكانه قال: كذلك تقسو وتصدأ قلوب الجهلة، حتى يسموا المحققين مبطلين، وهم أعرق خلق الله^(٣) في تلك الصفة ﴿فَأَصْبِرْ﴾ على عداوتهم ﴿إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ﴾ بنصرتك وإظهار دينك على الدين كله ﴿حَقٌّ﴾ لا بد من إنجازه والوفاء به، ولا يحملنك على الخفة والقلق جزعاً مما يقولون ويفعلون فإنهم قوم شاكون

(١) تقدم.

(٢) قوله «ومعنى طبع الله منع الألفاظ» أوله بذلك بناء على أنه تعالى لا يخلق الشر وهو مذهب المعتزلة وذهب أهل السنة إلى أنه يخلقه كالخير، فالآية على ظاهرها. (ع)

(٣) قوله «وهم أعرق خلق الله» في الصحاح: أعرق الرجل. أي: صار عريقاً، وهو الذي له عرق في الكرم. (ع)

ضالون لا يستبدع منهم ذلك. وقرئ بتخفيف النون. وقرأ ابن أبي إسحاق ويعقوب: ولا يستحقنك، أي: لا يفتنك فيملكوك ويكونوا أحق بك/ ٢/ ٩٢ ب من المؤمنين.
عن رسول الله - ﷺ -: «من قرأ سورة الروم كان له من الأجر عشر حسنات بعدد كل ملك سبح الله بين السماء والأرض وأدرك ما ضيع في يومه وليته» (١١٤٥).

١١٤٥ - تقدم برقم (٣٤٦) وهو حديث فضائل القرآن سورة سورة.
قال الحافظ في تخريج الكشاف: أخرجه الثعلبي، وابن مردويه، والواحدي بأسانيدهم إلى أبي بن كعب. انتهى.